@ 476 @ ^ (فمن شاء فليؤمن من شاء فليكفر) ^ أي : لم يبق إلا سلوك أحد الطريقين ، بحسب توفيق العبد ، وعدم توفيقه ، وقد أعطاه ا مشيئة ، بها يقدر على الإيمان والكفر ، والخير والشر فمن آمن ، فقد وفق للصواب ، ومن كفر ، فقد قامت عليه الحجة ، وليس بمكره على الإيمان كما قال تعالى : ! 2 2 ! . ثم ذكر تعالى مآل الفريقين فقال : ! 2 ! 2 بالكفر والفسوق والعصيان ! 2 2 ! أي : سورها المحيط بها . فليس لهم منفذ ، ولا طريق ، ولا مخلص منها ، تصلاهم النار الحامية . ! 2 2 ! أن يطلبوا الشراب ، ليطفىء ما نزل بهم من العطش الشديد . ! 2 2 ! أي : كالرصاص المذاب ، أو كعكر الزيت ، من شدة حرارته . ! 2 2 ! أي : فكيف بالأمعاء والبطون ، كما قال تعالى : ! 22 ! . ! 2 2 ! الذي يراد ليطفىء العطش ، ويدفع بعض العذاب ، فيكون زيادة في عذابهم ، وشدة عقابهم . ! 2 ! 2 النار ! 2 2 ! وهذا ذم لحالة النار ، أنها ساءت المحل ، الذي يرتفق به . فإنها ليس فيها ارتفاق ، وإنما فيها العذاب العظيم الشاق ، الذي لا يفتر عنهم ساعة ، وهم فيه مبلسون قد أيسوا من كل خير ، ونسيهم الرحيم في العذاب ، كما نسوه . ثم ذكر الفريق الثاني فقال : ^ (إن الذين آمنوا وعلموا الصالحات) ^ أي : جمعوا بين الإيمان با وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر والقدر ، خيره ، وشره ، وعمل الصالحات ، من الواجبات والمستحبات ! 2 2 ! . وإحسان العمل ، أن يريد العبد العمل لوجه ا ، متبعا في ذلك شرع ا . فهذا العمل لا يضيعه ا ، ولا شيئا منه ، بل يحفظه للعاملين ، ويوفيهم من الأجر ، بحسب عملهم وفضله وإحسانه ، وذكر أجرهم بقوله : ! 2 2 ! . أي : أولئك الموصوفون بالإيمان والعمل الصالح ، لهم الجنات العاليات التي قد كثرت أشجارها ، فأجنت من فيها ، وكثرت أنهارها ، فصارت تجري من تحت تلك الأشجار الأنيقة ، والمنازل الرفيعة . وحليتهم فيها ، الذهب ، ولباسهم فيها الحرير الأخضر من السندس ، وهو الغليظ من الديباج ، والإستبرق ، وهو : ما رق منه . متكئين فيها على الأرائك وهي : السرر المزينة ، المجملة بالثياب الفاخرة فإنها لا تسمى أريكة ، حتى تكون كذلك . وفي اتكائهم على الأرائك ، ما يدل على كمال الراحة ، وزوال النصب والتعب ، وكون الخدم يسعون عليهم بما يشتهون ، وتمام ذلك ، الخلود الدائم والإقامة الأبدية . فهذه الدار الجليلة ! 2 2 ! للعاملين ! 2 2 ! يرتفقون بها ، ويتمتعون بما فيها ، مما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين ، من الحبرة والسرور ، والفرح الدائم ، واللذات المتواترة ، والنعم المتوافرة . وأي مرتفق ، أحسن من دار ، أدنى أهلها ، يسير في ملكه ونعيمه ، وقصوره وبساتينه ، ألفي سنة ولا يرى فوق

ما هو فيه من النعيم . قد أعطى جميع أمانيه ومطالبه ، وزيد من المطالب ، ما قصرت عنه الأماني . ومع ذلك ، فنعيهم على الدوام ، متزايد في أوصافه وحسنه . فنسأل ا الكريم ، أن لا يحرمنا خير ما عنده ، من الإحسان ، بشر ما عندنا من التقصير والعصيان . ودلت الآية الكريمة ، وما أشبهها ، على أن الحلية ، عامة للذكور والإناث ، كما ورد في الأخبار الصحيحة لأنه أطلقها في قوله : ! 2 2 ! وكذلك الحرير ونحوه . ! 2 2 ! يقول تعالى لنبيه صلى ا عليه وسلم : اضرب للناس مثل هذين الرجلين الشاكر لنعمة ا ، والكافر لها ، وما صدر من كل منهما ، من الأقوال والأفعال ، وما حصل بسبب ذلك ، من العقاب العاجل ، والآجل ، والثواب ليعتبروا بحالهما ، ويتعظوا بما حصل عليهما ، وليس معرفة أعيان الرجلين ، وفي أي زمان أو مكان هما ، فيه فائدة أو نتيجة . فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط ، والتعرض لما سوى ذلك ، من التكلف . فأحد هذين الرجلين الكافر لنعمة ا الجليلة ، جعل ا له جنتين أي : بساتين حسنين ، من أعناب . ! 2 2 ! أي : في هاتين الجنتين من كل الثمرات ، وخصوصا أشرف الأشجار ، العنب ، والنخل . فالعنب ، وسطها ، والنخل ، قد حف بذلك ، ودار به ، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه ، وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح ، التي تكمل لها الثمار ، وتنضج وتتجوهر ، ومع ذلك ، جعل بين تلك الأشجار زرعا . فلم يبق عليهما إلا أن يقال : كيف ثمار هاتين الجنتين ؟ وهل لهما ماء يكفيهما ؟ فأخبر تعالى ، أن كلا من الجنتين آتت أكلها أي : ثمرها وزرعها ضعفين أي : متضاعفا ^ (و) ^ أنها ! 2 2 ! أي : لم تنقص من أكلها أدنى شيء . ومع ذلك ، فالأنهار في جوانبهما سارحة ، كثيرة غزيرة . ! 2 2 ! أي : لذلك الرجل ! 2 2 ! أي : عظيم كما يفيده التنكير أي : قد استكملت جنتاه ثمارهما ،